

## الدولة في الفكر المغربي المعاصر

أ. شبلي ربيعة

ملخص:

قطع الفكر الإسلامي المغربي المعاصر فيما يخص معالجة الظاهرة السياسية شوطا كبيرا انطلاقا من علاقة الدين بالسياسة، وهي إشكالية زبئية تحمل في مضامينها تقاطع لعدة خطابات عمقتها تجارب التاريخ، (الحركات الفكرية، النهضة، التجديدية، الإحيائية،...). فكان البحث في أصول هذه الإشكالية غوص لإيجاد بناء معرفي نظري يتبنى المقاربة الإسلامية في مناقشة مفهوم الدولة ويهدف التأسيس لأصالة الخطاب الفلسفي المغربي والرقى به من عملية النقل (شرح وعرض النظريات...) إلى الدخول في حوار مع الذات ومواجهة الآخر وهو ما عمدنا على استقرائه من خلال هذا المقال.

الكلمات المفتاحية: السلطة- الديمقراطية- الدولة- العلمانية- الوحدة.

### Le résumé :

L'esprit islamique maghrébin est passé par un grand parcours pour traiter le phénomène politique à partir de la relation entre la religion et la politique, et c'est une problématique qui contient des croisements de plusieurs discours liés à des tentatives historiques.

C'est la recherche approfondie afin de trouver et de construire un savoir théorique qui prend en charge l'approche islamique pour discuter le concept de l'état, et dans le but d'avoir un vrai discours philosophique et maghrébin. Pour qu'il y ait un dialogue avec soi et affronter l'autre.

**Les mots clés :** Le pouvoir- la démocratie- l'état-laïcisation-l'union

المقدمة:

شهد الفكر العربي المعاصر عملية المراجعة النقدية التي أسس لها مجموعة من الباحثين بغية تحرير الوعي الإسلامي من التوقع والانغلاق والتبعية الغربية وهي تحمل في فحواها عملية توفيقية بين التراث والواقع الجديد الذي يمثل حمولة معرفية مشحونة بمفاهيم متعددة: العلمانية، الديمقراطية... الخ، بحيث كان للحركة الإصلاحية الإسلامية أبان القرن التاسع عشر دور في بعث الروح النقدية على الرغم من عدم نجاحها في تأسيس منظومة فكرية خالصة فيما يخص بناء الدولة،

## الدولة في الفكر المغربي المعاصر

فبين المرحلة الحديثة والمعاصرة حدثت عملية انتقال للوعي الإسلامي بالارتكاز على آليات منها التأويل من أجل التأسيس لمسألة الدولة "تاريخ الفكر الإسلامي الحديث والمعاصر تاريخ قطائع، تمثل فيه كل لحظة فكرية قطيعة مع سابقتها: فالإصلاحية جاءت تشكل قطيعة مع فقه السياسة الشرعية وسلفية رشيد رضا أنجزت قطيعة أولية مع إصلاحية وإحيائية حسن البنا استكمل تلك بقطيعة مضاعفة مع الإصلاحية ومع سلفية رضا... وعلى ذلك فإن القطيعة الفكرية الحاسمة التي حصلت في تاريخ الفكر الإسلامي الحديث والتي تستحق أن يطلق عليها نعت القطيعة هي تلك التي أنجزها تيار الصحوة مع تيار الإصلاحية وأتت بمعامل الهدم على الميراث الإسلامي النهضوي منذ ثلاثينات القرن العشرين التاسع عشر إلى عشرينيات القرن العشرين"<sup>(1)</sup> لقد حملت عملية التوفيق -المشار لها سابقا- ملبسات المفهوم والمضمون فمنذ اللحظة الأولى لا يكاد ينفك الجدل بين اتجاهين في معالجة الظاهرة السياسية الإسلامية، اتجاه يعالج المسألة انطلاقا من الدلالة المفهومية واتجاه يركز على المضامين الفكرية، ومما لاحظناه بروز عملية الإسقاط بمعنى التجأ بعض الباحثين لإيجاد هذا التقارب في بناء المشروع الإسلامي (التراث والمعاصرة) من خلال السعي نحو إدخال المفاهيم الحديثة في إطار فكري إسلامي<sup>(2)</sup> من هذا المنطلق سنحاول التعرض لإشكالية الدين والسياسة (السلطة الدينية في الفكر المغربي المعاصر) من خلال معالجة السلطة كمجال للصراع الإسلامي العلماني في إطار مفهوم الدولة بغية استشراف مستقبل السلطة في المنطقة.

هناك عدة عوامل أدت إلى التحكم في بلورة مفهوم الدولة في الفكر المغربي المعاصر والتي تأتي في مقدمتها العوامل التاريخية، بحيث حددت المسار في تشكيل الفكر المغربي الإسلامي الذي حمل في مضمونه عدة تساؤلات من حملتها ماذا نقصد بالدولة؟ ما طبيعة هذه الدولة؟ وما شكلها؟ ما الأسس التي يجب أن تنبني عليها؟...

إن الباحث في هذا المجال يجد نفسه أمام زخم كبير من الأطروحات الفكرية والنظريات والمحاولات النقدية فيما يخص مناقشة الدولة في المجال الإسلامي من حيث أنها:

- ترتبط بالمخيل التاريخي الذي حملة المسلمون في تصورهم للدولة الإسلامية انطلاقا من

دولة الرسول -صلى الله عليه وسلم- والخلافة الراشدة (مفهوم الرمزية).

- ما توصل إليه الفكر الغربي فيما يخص مسألة الدولة، إن ازدواجية المرجعية الثقافية أدت لبروز تناقضات حادة على ساحة العمل السياسي بين أنصار الأصالة والمعاصرة "... ففي حين يصر الفريق الأول على إحياء النموذج السياسي للنظام الإسلامي واعتباره النموذج الأوحيد، يرى الفريق الثاني في نبد الماضي وتبني أشكال التنظيم الغربية البديل الأمثل لحل مشكلات الإنسان المعاصر"<sup>(3)</sup>، يحاول فريق ثالث التريب والتوفيق بين المسارين وهي محاولة في عمقها لإعادة إنتاج نسق سياسي إسلامي يعالج إشكالية محورية "بناء الدولة الإسلامية" وكلمة الدولة الإسلامية نفسها كلمة مبتدعة حديثة تعبر ظعن تأثير الفكر الإسلامي المعاصر الشديد بالفكر الحديث السائد، ذلك أن هذا الفكر هو الذي يعطي الدولة هذه الأهمية الاستثنائية والخاصة التي تجعل منها المعبود الحقيقي للمجتمع، لأنه يطابق فيها بين هويته وقيمه وروحه ونظامه وغاياته ... ولم يكن هذا هو الحال في الماضي فلم تكن للدولة في الإسلام الأول قيمة إيجابية ولم يكن في الإسلام التاريخي نفسه القيمة التي نميل إعطائها لها اليوم، والتي جاءت بالضبط من السعي إلى التقليل من أهمية الدين"<sup>(4)</sup> هذا القول يجعلنا لتقدير خصوصية التجربة الإسلامية والتي من أهم مميزاتا "... أن المجال السياسي تشكل مستقلا عن المجال الديني بسبب غياب تشريع قرآني له وكان ثمرة اجتهاد بشري يتراتب في سلم الديني بسبب غياب تشريع قرآني له وكان ثمرة اجتهاد بشري يتراتب في سلم القيمة تنازليا من النبي صلى الله عليه وسلم إلى الخلفاء الراشدين..."<sup>(5)</sup> ومن جملة ما نلاحظه أعمال الإسلاميين فيما يخص التأسيس للدولة الإسلامية كغاية للتنظيم البشري والتي كانت في مجملها تصب في هذا النطاق "... البنية السلطوية للأمة التي توجه الفعل السياسي وتحدده وفق منظومة المبادئ السياسية الإسلامية"<sup>(6)</sup> ومن الأعمال الفكرية الرائدة في مجال الدراسة النقدية لمشروع الدولة في النطاق المغربي ما ذهب إليه العروي في كتابه مفهوم الدولة الذي عكف من خلاله على دراسة الدولة كمفهوم ونظام تطور من خلال تجارب تاريخية متعددة "من يظن أن حقيقة الدين أو حقيقة الفلسفة تسمو على حقيقة الدولة خاطئ لأنه يرى الأمور بمنظار الاعمال وهو منظور تجزيئي تسطيحي. ولو كان تعمق في الأمور ورآها بمنظار العقل الشمولي لأدرك أن مفهوم الدين هو مفهوم الفلسفة مصورا مثلا، وأن مفهوم الفلسفة هو مضمون الدولة، ملخصا مجردا وأخيرا أن مضمون التاريخ